

لؤلؤ
عز العلماء
زمن الفتن الغيباء

فضيلة الشيخ الدكتور
محمد بن هادي المدخلي
حفظه الله تعالى



يَسْرُ مَوْقِعَ [مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ] أَنْ يُقَدَّمَ لَكُمْ تَسْجِيلًا لِمُحَاضَرَةٍ بِعنوان :

لُزُومُ غَرَزِ الْعُلَمَاءِ

زَمَنَ الْفِتَنِ الْعَمِيَاءِ

أَقَامَهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

مُحَمَّدُ بْنُ هَادِيِ الْمَدْخَلِيِّ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ

عَامَ أَرْبَعَةٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ

نَسْأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يَنْفَعَ بِهَا الْجَمِيعَ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فأولاً- نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا المجلس مجلساً مباركاً نافِعاً.

وثانياً- ندعو الله -جلّ وعلا- أن يُجْزِلَ الأجر، ويُضَاعِفَ الثُّبُوبَ، لصاحبه المتسبّب فيه.

وثالثاً- نُبارِكُ لِلْعَرِيسِ في هذه المناسبة، فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يُبارِكَ لِلْعَرُوسَيْنِ، يُبارِكَ لهما وعليهما، وأن يجمع بينهما في خيرٍ، وأن يرزقهما الذُرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ التي تعبده -جلّ وعلا-، لا تُشْرِكُ به شيئاً.

وأما رابعاً- فَمِمَّا يَنْبَغِي عِمَارَةُ الْمَجَالِسِ به التَّوَاصِي والتَّذَاكُرُ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرَ رَبَّنَا لَنَا، وَدَأْبَ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِنَا -رضي الله عنهم أجمعين-.

وإِنَّ مِنَ الْمُنَاسِبِ في هذه الأيام أن نُذَكِّرَ أَنْفُسَنَا وإِخْوَانَنَا جَمِيعًا في مثل هذه الأحداث والظُّرُوفِ، نُذَكِّرُهُمْ ويُذَكِّرُ بَعْضُنَا بَعْضًا بِسُلُوكِ طَرِيقِ النِّجَاةِ، وطَرِيقِ السَّلَامَةِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

السَّلَامَةُ فِي الدُّنْيَا: من الوُلُوجِ فِي الْفِتَنِ، والدُّخُولِ فِيهَا، والاصْطِلَاءِ بِنِيرَانِهَا..

وارْتِكَابِ الْآثَامِ الَّتِي تَأْتِي بِهَا هَذِهِ الْفِتَنِ، من قَتْلِ..

وإِزْهَاقِ لِلنُّفُوسِ..

واعتداءٍ عَلَى الْحُرِّمَاتِ..

وَنُصْرَةِ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ..

وَقُلْ مَا شِئْتُ بَعْدَ هَذَا؛ وَإِنَّمَا هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْبَاقِي، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعُدَّهُ الْعَادُّ

لَوْ أَرَادَ مَعَ التَّفَحُّصِ وَالتَّتَبُّعِ؛ لَكَثْرَةُ الْآثَارِ الْمُرْدِيَةِ-نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ-، فَالَّذِي يَنْبَغِي لَنَا

أَنْ نَحْرَصَ عَلَى هَذَا؛ فَيَسْلَمَ الْإِنْسَانُ فِي دُنْيَاهُ.

وَيَسْلَمُ فِي دِينِهِ: فَلَا يَسْفِكُ دَمًا حَرَامًا يُؤَاخِذُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

وَلَا يُعِينُ عَلَيْهِ يُؤَاخِذُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

وَلَا يَنْتَهِكُ حُرْمَةً يُؤَاخِذُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

وَلَا يَقْطَعُ طَرِيقًا يُؤَاخِذُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

وَلَا يُفْسِدُ مُنْشَأَةً عَامَّةً لِلْمُسْلِمِينَ يُفَوِّتُ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْهَا، وَالْخَيْرَ الَّذِي كَانُوا

يَجْنُونَهُ مِنْهَا؛ فَيُؤَاخِذُ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

وَلَا يَتَسَبَّبُ فِي تَعْطِيلِ عُمُومِ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّا يَضِيقُ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ؛ فَيُؤَاخِذُ

به يوم القيامة..

وهكذا...

فيسلم له دنياه وآخرته، ويسلم له دينه-أيضاً-.

فأما دنياه: فبما سمعتم، وأما آخرته: فبما سمعتم.

وأما دينه: فباتباع الشرع الحنيف، وتطبيقه على نفسه، وزمّه لها بزمام الأدلة الشرعية.

وليُعلم أن أعظم سبب في ذلك كله يرجع إلى أمرين:

الأمر الأول: سلوك سبيل السنة والحديث والأثر.

وذلك بالبحث في كُتب السنن المروية عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في هذا

الجانب: جانب الفتن؛ حتى يعلم ويعمل ويحذر؛ فيسلم، فإن: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ

أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»^(١)، وَمَنْ خَافَ سَلِمَ.

فينبغي الحرص على هذا، قراءة كُتب الفتن من كُتب السنن المشهورة، دواوين

الإسلام؛ ك: «البخاري» وغيره، الأمّهات، أو ما جاء في «مسلم»، وفي «سنن أبي

داود»، «جامع أبي عيسى الترمذي»، وهكذا قل بقية كُتب الحديث.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) وغيره.

فَإِنَّكَ إِذَا قَرَأْتَ وَجَدْتَ:

أولاً- توجيهاتِ رسول الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الجانب صريحةٌ نيرةٌ واضحةٌ، تركنا عليها رسول الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كما قال-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ بَعْدِي عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ»^(١).

وأنتم ترون-معشر الأحبة-الرَّجُلَ ماذا يعمل إذا طَلَبَ السَّلَامَةَ لِمَالِهِ إذا كان مَالُهُ في السَّفَرِ في الطَّرِيقِ يُتَاجَرُ بِهِ؟ ماذا يبحث؟

أَوَّلُ مَا يَبْحَثُ: عن الرُّفْقَةِ الصَّالِحَةِ الْأَمِينَةِ الَّتِي يُودِعُهَا هَذَا الْمَالُ؛ لتوصله له، فإذا كان هذا في الدِّينَارِ والدَّرْهَمِ؛ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ فِي دِينِ اللَّهِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى، فِي دِيَانَتِكَ؛ حَتَّى تَسْلَمَ لَكَ مِنْ بَابِ أَوَّلَى.

الثَّانِي: تَرَاهُ يَبْحَثُ عَنْ أَخْصَرِ الطُّرُقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا إِلَى سَبِيلِ السَّلَامَةِ، وَهَذَا أَقْصَرُ الطُّرُقِ وَأَخْصَرُهَا هُوَ: سُلُوكُ طَرِيقِ الْوَحْيِ.

الثَّالِثُ: تَجِدُهُ يَبْتَعدُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَخُوفِ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ احْتِمَالُ الْعَطَبِ لِلْمَالِ فِيهِ، إِمَّا: بِقُطَاعِ طُرُقٍ، أَوْ كَوْنِ الطَّرِيقِ مَهْلَكَةً، رَبِّمَا مَاتَ فِيهَا وَلَكَّمَا يَصِلُ، فَتَرَاهُ يَبْتَعدُ عَنِ هَذَا الطَّرِيقِ؛ لِيَصِلَ مَالُهُ إِلَى بَرِّ السَّلَامَةِ، وَشَاطِئِ الْأَمَانِ.

(١) أخرجه ابن ماجه (٥)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٨ و ٤٩).

فإذا كان هذا في المال؛ فيجب عليه-أيضاً-أن يكون في جانب طَلَبِهِ لِنَفْسِهِ لِلسَّلامَةِ من الوقوع في هذه الفتن أَوَّلَى وَأَوَّلَى؛ فينظر حينئذٍ إلى مَنْ؟ إلى الذي يَدُلُّهُ على الطَّرِيق السَّالِم من المخاوف، الْمُؤْتَمِن على معرفة الطُّرُق.

إذا كان هذا هكذا؛ فيجب عليه أن يَعُود في دِينِهِ وسَلَامَةِ نَفْسِهِ إلى مَنْ يَدُلُّهُ على السَّلامَةِ.

والذين يَدُلُّونَكَ على السَّلامَةِ هُمْ: أئِمَّةُ السُّنَّةِ والأَثَر؛ فَإِنَّهُمْ يرشِدُونَكَ ابتداءً، ويدُلُّونَكَ على طريق السَّلامَةِ، ويبصِّرُونَكَ بِهِ، وَإِنْ رَأَوْكَ جَهْلَتَهُ، أَوْ رَأَوْا شَيْئًا يَعْزِضُ لَكَ فِي سَيْرِكَ؛ أَخَذُوا بِيدِكَ وَأَعَادُوكَ إلى الجَادَّةِ.

وأَضْرَبُ لَكُمْ مَثَلاً واحداً في هذا لشَخْصٍ كان هكذا فأصبح إماماً كبيراً من أئِمَّةِ السُّنَّةِ، أَلَا وهو الإمام (أبو داود)-رحمه الله تعالى:-

فإنَّه قد عاش في عَصْرِ كَثُرَتْ فيه الفتن وعَصَفَتْ؛ إِذْ وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ، وتوفي سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ، فكانت مُدَّةَ حَيَاتِهِ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً.

هذه الفترة من سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ إلى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ كانت الفتن فيها تَعْصِفُ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، ولا أعظم من فتنة الاعتزال والتَّجَهُم التي عَصَفَتْ بِالْأُمَّةِ في ذلكم الزَّمن.

إِذْ أَطْلَّ التَّجَهُمُ فِي آخِرِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِرَأْسِهِ وَظَهَرَ، وَبَدَأَ يَدْبُ كَالنَّارِ تَحْتَ الْهَشِيمِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، ثُمَّ بَدَأَتْ تَرْفَعُ رَأْسُهَا بَعْدَ سَقُوطِ دَوْلِهِ بَنِي أُمَيَّةَ وَتَظْهَرُ، ثُمَّ شَيْئًا فَشَيْئًا بَعْدَ ذَهَابِ الْحُكَّامِ الْأَقْوِيَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ أَبِي جَعْفَرٍ وَهَارُونَ الرَّشِيدِ، أَطْلَتْ بِرَأْسِهَا فِي هَذَا الْحِينِ، يَعْنِي: فِي الْعَقْدِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مِنَ الْقَرْنِ الثَّالِثِ.

هذه الفتن أدركها أبو داود؛ لكنَّ الله -جلَّ وعلا- نجَّاه منها، وذلك لهذين السَّبَبَيْنِ -بفضل الله ورحمته-:

إِذْ كَانَ أَبُو دَاوُدَ مِنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهِ سَائِرًا فِي طَرِيقِ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، وَقَدْ نَشَأَ فِي بَيْتِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَالرَّوَايَةِ مَنْتَشِرَةً فِيهِ.

فأَبُوهُ: (الْأَشْعَثُ بْنُ إِسْحَاقَ) أَحَدُ تَلَامِيذِ (حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ) -رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا-، وَأَحَدُ الرُّوَاةِ عَنْهُ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعِرَاقِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي «التَّقْيِيدِ وَالْإِيضَاحِ عَلَى مُقَدِّمَةِ ابْنِ الصَّلَاحِ»^(١)، فَأَبُوهُ أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ.

وَأَخُوهُ -الْأَسْنُ مِنْهُ قَلِيلًا- وَهُوَ: (مُحَمَّدٌ)، كَذَلِكَ مَنَّ لَهُ اعْتِنَاءٌ بِالْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، وَالرَّوَايَةِ لَهَا، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ (أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ)، وَمِنْ تَلَامِيذِ تَلَامِيذِ (شُعْبَةَ)، كَانَ يَرْوِي عَنْهُمْ، وَلَهُ رَوَايَةٌ؛ لَكِنَّهُ لَأَنَّهُ مَاتَ كَهْلًا مَا اشْتَهَرَتِ الرُّوَايَةُ عَنْهُ، إِذْ هُوَ أَسْنُ مِنْ أَبِي دَاوُدَ، وَأَبُو دَاوُدَ أَكْبَرُ مِنْهُ شَأْنًا.

(١) (ص: ٤١١).

وكان استصحَبَ أبا داود في صِغَرِهِ قبل الثَّامِنَةِ عشرة، في السَّابِعَةِ عشرة أو في أَوَاخِرِ السَّابِعَةِ عشرة معه في الرِّحْلَةِ إلى نَيْسَابُور، وإلى خُرَاسَانَ، فأخذ من (إبراهيم بن عيسى الرَّاظِي) وَمَنْ معه، ومن (قُتَيْبَةَ بن سعيد البَغْلَانِي)، أئِمَّةٌ في ذلك الزَّمان من أئِمَّةِ الحديث.

وانقطعت روايته إِلَّا من طريق ابن أخيه عنه: الحافظ (أبو بكر بن أبي داود)، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حبان في «الثَّقَات»^(١) حينما ترجم له، وقال: حَدَّثَنَا عنه ابنُ أخيه (أبو بكر بن أبي داود)، لَأَنَّهُ مات كَهْلًا.

يعني: في الخمسين من عُمرِهِ، إذ المرءُ أَوَّلُ ما يكون: نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عِظَامًا تُكْسَى لَحْمًا، ثُمَّ يُسَمَّى الْجَنِينَ، ثُمَّ طِفْلًا، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]، ثُمَّ صَبِيًّا، ثُمَّ غُلَامًا، ثُمَّ فَتًى شَابًّا، ثُمَّ بعد ذلك كَهْلًا.

الشَّابُّ: إلى الثَّلاثين، هذا شباب، بعد الثَّلاثين: يدخلُ الْأَشُدَّ، مِنْ عَشْرِ الثَّلاثين إلى الأربعين يكتمل أَشُدُّهُ، كُلُّ هذا شباب إلى أن يصل إلى الأربعين.

بعد الأربعين: يدخل في الكُهُولَةَ، خمسين: كَهْلٌ، إذا دَلَفَ إلى السِّتِّين قالوا: شيخ، بعد السِّتِّين إلى السَّبْعِينَ كذلك: شيخ.

إذا طلع فوقها وبدأ في عقد الثمانين قالوا: مُعَمَّر.

إذا جاوز الثمانين قالوا: عُمَرُ كَثِيرًا.

إذا جاوز التسعين قالوا: حَتَّى هَرِمَ، بعد التسعين: الهَرَم.

هذه مراحل العمر في ابن آدم، منذ أن يكون نطفةً حَتَّى يُورَدَ القبر.

الشَّاهد: حدَّثه وهو كَهْلٌ، يقول: حدَّثنا عنه ابنُ أخيه (أبو بكر بن أبي داود)، ومات

وهو كَهْل.

فهذا يدلُّ على أَنَّ الْبَيْتَ كانت السُّنَّةُ والرَّوَايَةُ والأثرُ مشتهرةً فيه، ونشأ أبو داود في

هذا البيت، ومن صَغَرِه اتَّجِهَ إلى الحديث، من أواخر السَّابِعة عشرة وهو يرحل مع أخيه

مُحَمَّد، ثُمَّ يَرِدُ على بغداد وعمره ثمانية عشرة سَنَة.

اليوم ثمانية عشرة سَنَة يلعب كما يقولون بلاي ستيشن!! لا يزال يتفرج لأفلام

كرتون!!! ما هُوَ يَرْحَلُ مِنْ بِلَادِ سَجِسْتَانِ إِلَى الْعِرَاقِ مُبَكِّرًا فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ!

وكانت بغداد محطَّ أنظار النَّاسِ في ذلك الحين، فيلتقي بِأَمَّةِ السُّنَّةِ والأثر: (أحمد)،

(ابن مَعِين)، ومن كان معهم، (المَدِينِي)، ومن كان معهم في ذلك الحين، فيأخذ عنهم،

وَيُبَكِّرُ، أخذ عنهم في أوَّلِ أمره، ثُمَّ بَكَرَ جنوبًا فنزل البصرة، دخل بغداد وهُم يقولون:

مات اليَوْمَ (عَفَّان بن مسلم الصَّفَّار)؛ فَاتَه.

بعد ذلك اتَّجَهَ جنوبًا؛ فدخل البصرة وهم يقولون: مات أمس (عثمان المؤذن)؛ فاتّه.

لكن أدرك: (مسلم بن إبراهيم الفراهيدي) أكبر شيخ له على الإطلاق، توفي سنة عشرين ومئتين، يعني روى عنه في أوّل الأمر، وأكثر عن: (مسدد).

ثمَّ اتَّجَهَ بعد ذلك إلى مكّة سريعًا، جاء الحجَّ وقصدها قبل أن يأتي الموسم، فرَّحه الله رحمةً أدرك بها: (عبد الله بن مسلمة القعنبي)، فروى عنه، و(عبد الله بن مسلمة القعنبي) توفي في منتصف المحرم، سنة إحدى وعشرين ومئتين، فأدرك (عبد الله بن مسلمة القعنبي) وروى عنه، وأدرك أيضًا: (سليمان بن حرب الأزدي الواشحي البصري) من كبار الشيوخ، لم يرو عنه من الستّة إلّا: الإمام البخاري، وأحمد، فشاركهم أبو داود في الرواية عنه.

ثمَّ عاد بعد ذلك ويَمَّمْ رحلته إلى بلاد العراق مرّةً أخرى، وطوّف، وطوّف، وطوّف، والمقصود ما هو هذا؛ المقصود:

الإشارة إلى لزوم علماء الحديث والأثر، وخطّ الرّحل بسوَّجهم ودُورهم، والجلوس بين أيديهم، والسَّماع لهم، والتَّلقي عنهم.

ثمَّ عاد بعد ذلك -رحمة الله تعالى عليه- مرّةً أخرى: الكوفة، ثمَّ دخل دمشق، ثمَّ حمص، ثمَّ حلب، ثمَّ حرّان، ثمَّ مصر، ثمَّ بيروت، والرَّملة مرّ عليها مرورًا خفيًا.

ثمَّ بعد ذلك استقرَّ به الأمرُ في العراق، ولَا زَمَ (أحمد)، وجاءت هذه الفتن العظيمة وهو ملازمٌ لأحمد، بعد ما طَوَّفَ هذه البُلدان، وَحَصَّلَ حَصِيلَةً عَظِيمَةً مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ بَيْنَ جَنْبِيهِ حَفْظًا، وَفِي طُرُوسِهِ^(١) كِتَابًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَلَزِمَ (أحمد) لزومًا نفعه الله به، واستفاد منه في هذا الوقت فائدةً عظيمةً، جاءت هذه الفتن؛ فتنة القول بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وإذا الإمام-رحمه الله تعالى-قد قَوِيَ فِي الْعِلْمِ، واستفاد من مُلَازِمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فعصمه الله-جَلَّ وَعَلَا-بَسْبِينِ اثْنَيْنِ فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً وَإِحْسَانًا، فَكَانَ هَذَا أَعْظَمُ سَبَبٍ لَهُ؛ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِيهَا بَعْدُ.

فَإِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى اسْتِقْرَارِهِ فِي الْبَصْرَةِ فِيهَا بَعْدَ مَوْطِنِ الْقَدَرِيَّةِ، يُوَلِّفُ كِتَابَ «الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْقَدَرِ».

وَبَجَوَارِهِ حُرُورَاءَ مَحَلِّ الْخَوَارِجِ، يُوَلِّفُ كِتَابَ «أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْخَوَارِجِ»، مَا هُوَ أَخْبَارُهُمْ: مَاذَا صَنَعُوا؟ مَاذَا فَعَلُوا؟ كَيْفَ قَامُوا؟ كَيْفَ جَلَسُوا؟ (لَا)؛ وَإِنَّمَا: الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي ذَمِّهِمْ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُمْ، وَالتَّحْرِيزُ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَبَيَانُ فَضْلِ ذَلِكَ، يَكْتُبُ كِتَابَ فِي الرَّدِّ عَلَى الْخَوَارِجِ.

قَرِيبًا مِنْهُ الْكُوفَةُ مَحَلُّ التَّشْيِيعِ وَالرَّفْضِ، يَكْتُبُ كِتَابَ «فَضَائِلُ الْأَنْصَارِ»، لِمَاذَا عَمِدَ إِلَى «فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ»؟

(١) بِمَعْنَى: الْكِتَابُ أَوْ الصَّحِيفَةُ.

لأنَّ النَّصَّ صَرِيحٌ يَضْرِبُ فِي وَجْهِهِ الرَّوَافِضَ، فِيهِمْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «بُغْضُهُمْ إِيْش؟ نِفَاقٌ: **«آيَةُ الْإِيْمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»**^(١).

كَتَبَ كِتَابَ «فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ» يَرُدُّ بِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةِ، الَّذِينَ يَطْعَنُونَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نَقَلَهُ الدِّينَ وَحَمَلَهُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ. إِذَا كَانُوا كَفَارًا مَرْتَدِّينَ كُلُّهُمْ أَوْ جُلُّهُمْ! أَوْ فُسَّاقَ كُلُّهُمْ أَوْ جُلُّهُمْ! بَطَلَتِ الشَّرِيعَةُ، كَيْفَ يُوثَقُ بِنَقْلِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْمٍ هَذَا حَالُهُمْ؟! أَوْ عَنْ قَوْمٍ هَذَا حَالُهُمْ؟! لَذَلِكَ تَفَطَّنَ أَبُو زُرْعَةَ إِلَى هَذَا، قَالَ: «أَرَادَ هَؤُلَاءِ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا، نَقَلَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، (...) فَالطَّعْنُ بِمَنْ طَعَنَ بِهِمْ أَوَّلَى وَهُوَ زِنْدِيقٌ»^(٢). فَعَصَمَهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حَتَّى أَنْتَجَ هَذِهِ الثَّمَرَةُ الطَّيِّبَةَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٧)، وَمُسْلِمٌ (٧٤)

(٢) «الْكِفَايَةُ فِي عِلْمِ الرَّوَايَةِ» لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (ص: ٤٩)، قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنُ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا؛ لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَنَةَ، وَالْجَرِّحُ بِهِمْ أَوَّلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ».

والنَّاظِرُ أيضًا في كتابه «السُّنَن» يجد «كتاب السُّنَّة» له في آخر «السُّنَن» قبل «كتاب الأدب»، يجده ينثر فيه عقائد أهل السُّنَّة.

ويُرَدُّ على أهل الأهواء والبدع ما أمكنه ذلك، بالكلمتين، والثلاث، والترجمة في حدِّ ذاتها للحديث مُشْعِرَةٌ بالردِّ على هؤلاء، فتجده عند القرآن يقول: هذا ردُّ على الجهمية، تجده في النزول: هذا ردُّ على الجهمية، تجده عند حديث أبي هريرة في السَّمْع والبَصَرِ وَضَعَ الإصْبَعِ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْعَيْنِ وَالْإِبْهَامِ عَلَى السَّمْعِ، يقول: هذا ردُّ على الجهمية، وهكذا.

فالأوجبُ إذاً علينا كما قال شيخ شيوخنا^(١):

فَإِنْ أَرَدْتَ رُقِيًّا نَحْوَ رُبَّتِهِمْ وَرُمْتَ مَجْدًا رَفِيْعًا مِثْلَ مَجْدِهِمْ
فَاعْمِدْ إِلَى سُلَمِ التَّقْوَى الَّذِي نَصَبُوا وَاصْعَدْ بِعِزِّمْ وَجِدِّ مِثْلَ جِدِّهِمْ

فإذا أردنا أن نسلُك سبيل السَّلامَةِ إذا عَصَفَتِ الفتن؛ فعلينا بهذا الطَّرِيق:

◆ لزوم السُّنَّة.

◆ والقراءة فيها.

(١) الشيخ العلامة حافظ الحكمي -رحمه الله- في «منظومته الميمية في الوصايا والآداب العلمية» مطبوعة ضمن «مجموع الرسائل والمنظومات العلمية للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي» (ص: ٣٧٧).

- ♦ ولزوم غرز أهلها.
- ♦ لزوم غرز أهل السُّنَّة؛ علماء السُّنَّة النَّاصِحِينَ الَّذِينَ يَنْصَحُونَ.
- ♦ وعليكم بعلماء السُّنَّة الرَّاسخين؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ يَرْسُخُ إِذَا جَاءَتِ الْفِتْنُ.

يقول قائل: هذا اتِّهَامٌ!

نقول: (لا)؛ ما هو اتِّهَامٌ لِلْعُلَمَاءِ، لَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ يَضْعُفُ فَهْمُهُ؛ فَيَطِيشُ عَقْلَهُ؛ فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ -وَلَوْ كَبُرَ سِنُّهُ- يَرْجِعُ إِلَى الْأُثْمَةِ، وَإِلَى الْفُحُولِ، وَإِلَى الْعَارِفِينَ. وَاقْرَءُوا قِصَّةَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مَعَ فُقَهَاءِ بَغْدَادِ فِي مَسْأَلَةِ الْخُرُوجِ عَلَى الْوَلَاةِ، حِينَما اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فِي فِتْنَةِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

اجْتَمَعَ إِلَى أَحْمَدَ مَنْ؟

فقهاء بغداد.

وَأَنَا أَسْأَلُ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: «فُقَهَاءُ»؟

هَذَا اللَّفْظُ مَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الَّذِي تَصَدَّرَ لِلْفُتْيَا، وَعُرِفَ بِالِاسْتِنْبَاطِ وَالْفِقْهِ فِي دِينِ

الله.

ومع هذا حَصَلَ لهم ما حَصَلَ! فاجتمعوا إلى أبي عبد الله في هذه المَعْصِلَةِ النَّازِلَةِ، وقالوا: «يا أبا عبد الله»-تأملوا-بالله عليكم!-معى الألفاظ التي سَنَسْتَنِيطُ منها الاستدلال-«يا أبا عبد الله! إِنَّ الأَمْرَ قد فَشَا وَتَفَاقَمَ، وَوَصَلَ إلى ما تَرَى».

يعنى: المحنة للعلماء، المحنة لِمَنْ؟ لِعُلَمَاءِ السُّنَّةِ، حَبْسٌ، وَجَلْدٌ، وَبَعْضُهُم يَمُوتُ في القَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، يُبْتَلَى في هذا.

«وإِنَّا نَرَى أَنَّهُ لَا سَمْعَ لَهُ، وَلَا طَاعَةَ لِلْخَلِيفَةِ».

قال: «لا، اصبروا، هذا خلاف الآثار، إِنَّا نجد في الآثار: «مَا صَلُّوا فَلَا»، «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ»^(١). وسأعودُ على هذا النِّصِّ.

(١) «السُّنَّةُ» لأبي بكر بن الخلال (١/١٣٣ رقم: ٩٠)، قال: وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، قَالَ: سَمِعْتُ حَنْبَلًا يَقُولُ فِي وِلَايَةِ الْوَاتِقِ: اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ: أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُبَيْدٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُطْبَخِيُّ، وَفَضْلُ بْنُ عَاصِمٍ، فَجَاءُوا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَاسْتَأْذَنَتْ لَهُمْ، فَقَالُوا: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا الْأَمْرُ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا»، يَعْنُونَ: إِظْهَارَهُ لِحَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «فَمَا تُرِيدُونَ؟» قَالُوا: «أَنْ نَشَاوَرَكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ، وَلَا سُلْطَانِهِ»، فَتَاطَرَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَاعَةً، وَقَالَ لَهُمْ: «عَلَيْكُمْ بِالنَّكِرَةِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشْقُوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، انظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أَوْ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ»، وَدَارَ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ لَمْ أَحْفَظْهُ وَمَضُوا، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ مَا مَضُوا، فَقَالَ أَبِي لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: «نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَمَا أَحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا»، وَقَالَ أَبِي: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا عِنْدَكَ صَوَابٌ»، قَالَ: «لَا، هَذَا خِلَافُ الْأَثَارِ الَّتِي أُمِرْنَا فِيهَا بِالصَّبْرِ»، ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ... وَإِنْ فَاصْبِرْ»، فَأَمَرَ بِالصَّبْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: ...»، وَذَكَرَ كَلَامًا لَمْ أَحْفَظْهُ. اهـ

قالوا: «إِنَّكَ تَرَى الأمر، فَشَا وَتَفَاقَم». يَعْنُونَ مَا قُلْتُ لَكُمْ، ابْتِلَاءَ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ

والحديث. طَيِّب، إِذَا: الَّذِي جَعَلَ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَهُ مَا هُوَ؟... مَا هُوَ؟

الْغَيْرَةُ عَلَى عُلَمَاءِ الْإِسْلَام، وَالْحَمِيَّةُ لِلدِّينِ اللَّهِ، أَخَذَتْهُمْ الْعَاطِفَةُ، رَقُّوا هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ،

هَذَا يُقْتَلُ، هَذَا يَمُوتُ، هَذَا مَحْبُوسٌ، هَذَا يُهَانُ، يُجْلَدُ وَيُضْرَبُ، صَحَّ وَلَا لَا؟

لَكِنْ (أَحْمَدُ) -رَحِمَهُ اللَّهُ- مَا عَصَفَتْ بِهِ الْعَاصِفَةُ، وَهِيَ عَاصِفَةُ الْعَاطِفَةِ الَّتِي تُنْسِي

النُّصُوصَ، هَؤُلَاءِ فَقَهَاءٌ وَمَعَ ذَلِكَ عَصَفَتْ بِهِمُ الْعَاصِفَةُ! وَهِيَ عَاصِفَةُ الْعَاطِفَةِ الَّتِي

أَنْسَتْهُمْ النُّصُوصَ، لِأَجْلِ مَنْ؟ مَا هُوَ لِأَجْلِ غَوَاةِ النَّاسِ، وَلَا لِأَجْلِ دَهْمَاءِ النَّاسِ،

وَلَا لِأَجْلِ عَامَّةِ النَّاسِ؛ خُلَاصَةُ النَّاسِ، وَنَقَاوَةُ النَّاسِ: الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ ابْتُلُوا.

قال لهم أحمد: «لا؛ هذه فتنة خاصة»^(١).

(١) «السُّنَّةُ» لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ الْخَلَالِ (١/ ١٣٢ رقم: ٨٩)، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَنَّ أَبَا

الْحَارِثِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فِي أَمْرٍ كَانَ حَدَثَ بِبَغْدَادَ، وَهُمْ قَوْمٌ بِالْخُرُوجِ، فَقُلْتُ: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ،

مَا تَقُولُ فِي الْخُرُوجِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ»، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، الدِّمَاءُ، الدِّمَاءُ، لَا أَرَى

ذَلِكَ، وَلَا أَمْرُ بِهِ، الصَّبْرُ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ يُسْفِكُ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَيُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَيُنْتَهَكُ

فِيهَا الْمُحَارِمُ، أَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ النَّاسُ فِيهِ»، -يَعْنِي أَيَّامَ الْفِتْنَةِ-، قُلْتُ: وَالنَّاسُ الْيَوْمَ، أَلَيْسَ هُمْ فِي فِتْنَةٍ يَا أَبَا

عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّهَا هِيَ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ عَمَّتِ الْفِتْنَةُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، الصَّبْرُ عَلَى

هَذَا، وَيَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ خَيْرٌ لَكَ»، وَرَأَيْتُهُ يُنْكِرُ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَيْمَةِ، وَقَالَ: «الدِّمَاءُ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا أَمْرُ

هذه شريحة من النَّاسِ ابتُلُوا، أمرهم بالصَّبْرِ درءً للفتنة العامة؛ السَّيْفُ إِذَا سُلَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: «اللَّهُ! اللَّهُ! فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، لَا تَسْفِكُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، كَفُّوا عَنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ»، أَوْ كَمَا قَالَ-رَحِمَهُ اللَّهُ-.

فَإِذَا أَنْتَ وَدَّكَ! تَمَنَّى أَنْ يَسْلَمَ الْعُلَمَاءُ؛ لَكِنْ أحيانًا قَدْ يُبْتَلَى عَالِمُ السُّنَّةِ، فَلَا تَجْعَلِ الْعَاطِفَةَ تُعْمِي عَيْنِكَ عَنْ تَدَبُّرِ النُّصُوصِ، بِحَيْثُ لَا تَنْظُرُ إِلَى الْمَفَاسِدِ وَالْمَصَالِحِ. لَا؛ انْظُرْ إِلَى الْمَفَاسِدِ وَالْمَصَالِحِ.

(أَحْمَدُ) يَعْرِفُ-رَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ-: هَذِهِ مَصِيبَةٌ، هَذِهِ فِتْنَةٌ، إِذَا ذَهَبَ حَمَلَةُ الدِّينِ وَأَنْصَارُهُ وَعُلَمَاؤُهُ؛ هَذِهِ مَصِيبَةٌ، قَالَ: «لَا، اصْبِرُوا»؛ لِأَنَّ هَذِهِ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ يَوْشِكُ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، يَصْبِرِ الْإِنْسَانُ، لَكِنْ أَنْ تَعْصِفَ بِكَ هَذِهِ الْعَوَاطِفُ فَتَقَعَ فِيهَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ؛ فَتُجَرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِتْنَةٌ عَامَّةٌ، هَذَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْفِقْهِ. فَأَيُّهُمْ-بِاللَّهِ-الْفَقِيهِ هُنَا؟! مَنْ؟! (أَحْمَدُ) أَمْ فَقَهَاءُ بَغْدَادِ مُجْتَمِعِينَ؟؟! (أَحْمَدُ).

وَفِي عَصْرِنَا كَانَ الْمَوْقُوقُ حُجَّةً	عَلَى فَقْهِهِ الثَّبَتِ الْأُصُولِ مُعَوَّلٍ
كَفَى الْخَلْقَ بِ: «الْكَافِي» وَأَقْنَعَ طَالِبًا	«بِمُقْنِعٍ» فَقْهِهِ فِي كِتَابِ مُطَوَّلٍ
وَأَغْنَى «بِمُغْنِي» الْفِقْهِ مَنْ كَانَ بَاحِثًا	وَعُمْدَتُهُ» مَنْ يَعْتَمِدُهَا يُحْصِلِ

يَعْنِي: فِقْهَ أَحْمَدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

فَهُنَا دَافَعَهُمْ، قَالَ هَذِهِ فِتْنَةٌ تَنْزِلُ بِنَا وَعَلَيْنَا، وَأَحْمَدُ مِنْ أَكْثَرِ مَنْ ابْتُلِيَ فِي هَذَا الْبَابِ؛
لَكِنَّهُ أَثَرُ الصَّبْرِ عَلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ؛ رَجَاءُ أَنْ يَقْشَعَهَا اللَّهُ وَيَرْفَعَهَا عَنِ الْعُلَمَاءِ، وَعَنِ
الْمُسْلِمِينَ، بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، ثُمَّ بِسَبَبِ صَبْرِ الْعُلَمَاءِ.

وَمَنْعَهُمْ مِنَ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ الَّتِي يَصُبُّونَ إِلَيْهَا، وَهِيَ نُصْرَةُ الْعُلَمَاءِ الَّتِي تُوقِعُ فِي الْفِتْنَةِ
الْعَمِيَاءَ الصَّامَاءَ.

يُقَالُ: «فِتْنَةُ عَمِيَاءٍ صَمَاءٍ»:

عَمِيَاءٌ: لَا يُبْصِرُ فِيهَا الْحَقُّ.

صَمَاءٌ: لَا يُسْمَعُ فِيهَا لِلْحَقِّ صَوْتُ، وَلَا لِأَهْلِهِ.

فَمَنْعَهُمْ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا، -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

فَإِذَا مَا هُوَ كُلُّ فُقَيْهِ يُلتَزِمُ فِي الْفِتَنِ؛ الْفُقَهَاءُ الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاءُ بِهَذَا الْبَابِ.

وَنَحْنُ رَأَيْنَا الْآنَ فِي هَذِهِ الْفِتَنِ الَّتِي مَرَّتْ بِالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ؛ كَمِ مِنْ شَخْصٍ مِمَّنْ

يَقُولُونَ عَنْهُ: إِنَّهُ عَالِمٌ! وَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ كَبِيرٌ! وَإِنَّهُ فُقَيْهِ! لَكِنْ سَمِعْنَا مِنْهُمْ الْعَجَبَ

الْعَجَابُ!!! فَوَرَّطُوا الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَعُوهُمْ فِيهَا يَصْطَلُّونَ بِهِ إِلَى الْحَيْنِ.

هَذِهِ مَصَائِبُ، وَفِتْنٌ عَظِيمَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ يُلْزَمَ فِيهَا بَعَرُزُ فُقَهَاءِ الْفِتَنِ.

وإذا نظر الناظر إلى كلام هؤلاء فيما بعد؛ يعرف صدق ما أقول!

هؤلاء هم المأمونون على دين الله..

هؤلاء هم الموثقون في فقههم..

لأنهم يُناظرون حال الناس، وينظرون إلى المفاصد والمصالح، ويقارنون بينها،
ويقيسون الأمور؛ فإذا رأوا المدخل سليماً والمخرج سليماً دخلوا وخرجوا بسلام، وإذا
رأوا المخرج غير سليم لم يدخلوا من أوّل وهلة، كما فعل أحمد-رحمه الله-.

وقد رفع الله-جلّ وعلا-فتنة الامتحان بخلق القرآن، رفعها الله-بفضله ورحمته-
بالعلم، ما هو بالسيف؛ بمناظرات العلماء-أهل السنة والأثر-لأهل الباطل، حتّى
قمعهم.

الحاكم هذا ما قبل؛ يأتي الله بحاكم آخر، كما قال الحسن البصري-رحمه الله-حينما
جاءوا يريدون الخروج على الحجاج، وقالوا له ما قالوا، قال: «اصبروا حتّى يستريح
برّ ويستراح من فاجر»، ثم تلا عليهم قول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي
إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (١٣٧) ﴿

[الأعراف: ١٣٧].

تَمَّتِ الْحُسْنَى لَهُمْ بِمَا صَبَرُوا؛ الصبر عاقبته جميلة.

قال: «لو أنكم تفعلون هذا؛ لأوشك الله أن يرفع عنكم ما نزل بكم، ولكنكم تفرعون إلى السيف؛ فيكيلكم الله إليه»^(١).

خلاص كل واحد وقوته، إذا كان كل واحد وقوته؛ السلطان أقوى.

ولهذا جاء عن الإمام أحمد-رحمه الله-وهو مبثوث في كُتُب الحنابلة، وأنا أتكلّم لكم في هذا الباب؛ لأنّ الحنابلة من أكثر الناس كلامًا في باب السنّة، لم؟

لكثرة كلام إمامهم-رحمه الله-في هذا الباب؛ إذ ابتلي وابتلوا، فكان كما قال أئمة الهدى من بعده-وخاصّة شيخ الإسلام-: كانت السّلامة من البدعة في أتباع أحمد أكثر؛ لبركة إمامهم-رحمه الله-.

الشّاهد: أحمد يقول: «لا يُنكر على السلطان إلّا وعظًا».

تَعْظُهُ بِاللّهِ: تُذَكِّرُهُ.

ليش؟

(١) «الشريعة» للإمام الآجري (ص: ٤٣ رقم: ٦٢) عن حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ، صَاحِبُ الطَّعَامِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، قَالَ: وَاتَّاهُ رَهْطٌ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا بُيُوتَهُمْ، وَيُغْلِقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا ابْتُلُوا مِنْ قِبَلِ سُلْطَانِهِمْ صَبَرُوا مَا لَبِثُوا أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَفْرَعُونَ إِلَى السَّيْفِ فَيُوكَلُونَ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ مَا جَاءُوا بِيَوْمٍ خَيْرٍ قَطُّ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾».

قال: «لَأَنَّ السَّيْفَ مَعَهُ، وَالشَّيْطَانَ يَنْزَعُ».

السَّيْفُ بِيَدِهِ، وَالْجَيْشُ تَحْتَهُ، وَالشَّيْطَانَ يَنْزَعُ.

أنت الآن ينزعك الشيطان وينزعك فتقوم عليه؛ شوف النتيجة!

هذا الكلام كلام من كلام أئمة السُّنَّة، كلام إمام أهل السُّنَّة مُطلقاً.

فبفضل الله ورحمته عَصَمَ الله أبا داود بهذا السَّبَب؛ بمُلازمته لإمام السُّنَّة الذي ابتلي،

وَعَرَفَ الْإِبْتِلَاءَ، وَعَرَفَ هَذِهِ الْفِتَنَ، وَخَبَرَهَا، وَعَرَفَ الْمَخْرَجَ مِنْهَا.

فيا إخوتاه!

♦ الله! الله! في سلوك سبيل السُّنَّة..

♦ وَالتَّمَسُّكُ بِالْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ..

♦ وَاتِّبَاعُ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ الْمَرْضِيَّةِ..

♦ وَلُزُومُ فَحُولِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ، ذَوِي الْفِقْهِ الدَّقِيقِ الرَّصِينِ، الَّذِينَ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ

بِأَشْبَاهِهَا، وَيَنْظُرُونَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَالَاتِهَا، فَإِنْ رَأَوْا خَيْرًا أَقْدَمُوا، وَإِنْ

رَأَوْا شَرًّا أَحْجَمُوا، وَحَثُوا النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ.

هذه الفتن الآن كم سالت فيها الدماء!

كُم أُرِيقَتْ فِيهَا !

أُزْهِقْتَ الْأَنْفُسَ وَالْأَرْوَاحَ !

انْتَهَكْتَ الْمَحَارِمَ !

قُطِعَتِ الطُّرُقُ !

أُزِيلَتْ وَأُهْلِكَتِ الْمُنْشآتُ !

قُلْ ... قُلْ ... قُلْ مَا شِئْتُ فِي هَذَا الْبَابِ !

بسبب خطباء الفتنة الذين لا فقه لهم أصلاً، ما عندهم فقه، ونحن نرى الآن:
موقف المسلم في الفتن! موقف المسلم في الفتن! وإذا جاءت مثل هذه الفتن طاشت
الأحلام.

نسأل الله الثبات! نسأل الله الثبات! اللهم إنا نسألك الثبات، ونسألك درء الفتن
قبل رفعها عنا وعن أمة الإسلام.

كلام فقط!!! لكن إذا جاء التطبيق؛ ما في!

لماذا؟! لأن خطباء الفتن تصدروا، والفقهاء أكثرهم تأخروا.

ما أقول جميعاً؛ أكثرهم تأخروا، والناصح قليل.

فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يسلك بنا وبكم جميعاً سواء السبيل.

فأوصيكم معشر الأحبة ونفسي بالتحرّز في هذا الجانب، وما تُلقِي سمعك لكلّ أحد، والزّم غَرَزَ مَنْ عُرِفَ بالسُّنَّةِ.

كيف؟ الفتن: فتنة بعد فتنة! بعد فتنة! بعد فتنة! وأنت تراهم ثابتين، يخرجون منها كالغواص الماهر، يخرج من اللجّة مع الأعاصير -برحمة الله وفضله عليه- سليماً، فمثل هذا الذي يصلح للقيادة؛ فعليكم بهؤلاء.

واحذروا اتّباع الغوغاء؛ فإنّهم إنّما يُوردون مَنْ استمع لهم موارد الشّوء.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يَمُنَّ علينا وعليكم بمعرفة الحقّ واتّباعه، وأن يرزقنا الفقه في دينه، والبصيرة فيه، والثبات عليه حتّى نلقاه.

كما أسأله -سبحانه- أن يجنّبنا وإياكم وسائر المسلمين الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصّة، وعن سائر بلاد المسلمين عامّة، إنّّه جواد كريم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمّد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.



هذا سؤال يسأل فيه صاحبه، يقول: جزاكم الله خيرًا، في كتاب لحمود التويجري...

هكذا بس؟؟!!

هذا الشيخ، العلامة، المجاهد في نُصرة السُّنَّة، والذَّبِّ عنها، وقَمْع مَنْ خَالَفَهَا، شيخنا الأثري، السَّلَفي، الشيخ مُحَمَّد بن عبد الله التَّوَيجِرِي - رحمه الله تعالى -؛ هكذا يُذكر هذا، -رحمةُ الله عليه-.

ولعلَّ هذا الأخ الكاتب ما يعرف هذا؛ أنا هذا أحسن ما أعتذرُ به له.

«إِتْحَافُ الْجَمَاعَةِ بِمَا جَاءَ فِي الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِمٍ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ»؛ هل تنصحون بقراءته؟

[الجواب]: إي والله!، نعم، رحمه الله وغفر له، وأعلى في الجنة درجته، وجميع مشايخ السُّنَّة الأعلام.



هذا...، مسألة: [الْمُتَقَدِّمِينَ وَالتَّأَخِّرِينَ]، سَمْنَا منها، كلام فارغ!



وهذا يسأل يقول: أَنَّهُ أحيانًا إذا خرج من الجامعة يجد بعض من يُوصِله، أحيانًا يُوصِله سَلَفِي، وأحيانًا يقع في خَلْفِي؛ فيسمع منه الطُّعن في مشايخ السُّنَّة! وعلماء السُّنَّة! والتَّعْرِيزُ بهم! والتَّصْرِيحُ بالدَّعوة إلى مَنهجه الفاسد؟!!

[الجواب]: ما دُمتَ كذلك؛ فأنت بين أمرين:

- إمّا يكون عندك مقدرة وقوّة في العلم، ومعرفة وفهم؛ فينّ له، ورُدّ عليه، وضح له، قد يكون هذا جاهل.

- فإذا رأيتَ منه العناد؛ قلْ له: نَزَّلْنِي هُنَا!

لا يُسمع ولا يُدخل في قلبك شيئاً من الزَّيغِ والفتن، هذا انحرافٌ في دين الله، وأشدُّ من ذلك: يجبُ عليك أن تعلمَ أنَّ القلوب ضعيفة والشُّبه خطّافة، وإذا تكلمَ في علماء الإسلام، وحَمَلَة السُّنة العظام بالباطل، وأنت لا تقدر أن تدفع؛ أثمت، شاركتَه.

فلا تُقدِّم دُنْيَاكَ ومصلحتك الدُّنيويّة على الدِّين، يَحْمِلُكَ للبيت!!-والله! لو أمشي حافياً ما سَكْتُ على مثل هذا المَبطل-، في النَّهار ما ركبْتُ مَعَه، واللهُ سيُسِّرُ لكَ، ويهيئُ لكَ، ويُغنيكَ عنه.

ولعلنا نكتفي بهذا، واللهُ أعلم، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمّد.

ويقول شيخنا الشَّيخ حمّاد-رحمة الله عليه- في كلمته الشَّهيرة: إذا حَضَرَ الهَرَس بَطَل

الدَّرْس!



وللاستماع إلى الدُّروس المباشرة والمسجلة والمنريد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



وجزاكم الله خيراً